نباتات الصناعة في مصر

قديماً وحديثاً

لمحمود مصطفى الدمياطي

٣ — القطن

تعتبر الهند الوطن الأصلي للقطن الشجري الاّ ان الدكتور إنجلر قد أشار الى وجوده في غينيا العليا وبلاد الحبشة والسنغال وغيرها . وترتفع ساقه من ست أقدام الى سبع وهي ليست متفرعة كثيراً وأوراقه كفيّة قبل إنه كان موجوداً في بعض الحدائق بالقاهرة بين سنتي ١٨٧٠ و ١٨٨٠

وثمّ قطن آخر يسمى القطن العشبي أو الهندي[1] ينبت في الهند وإيران ومصر وسائر البلاد الشرقية وجنوب اوربا وغيرها وألياقه قصيرة غير مرغوب فيها . قيل انه أول قطن دخل مصر وان أصله من ايران وجزيرة العرب وداخل الشام ثم نقل الى مصر في مدة الاسكندر ولكن لم تنتشر زراعته كثيراً . وقد سبق بيان أن من تكلموا على مصر قديماً لم يذكروا هذا النبات

ظلّ القطن المألوف زرعه الى سنة ١٨٢١ من النوع الآسف الذكر على الراجح ولكن في سنة ١٨٢٢ وما بعدها حدث انقلاب من جهة نهضة مصر اقتصادياً فتعمم زراعة القطن في مصر السفلى (الدلتا) وكان يوجد في حديقة شبرا[2] نوع جيد من القطن جلبه معه من السودان فلما شاهده المرحوم المغفور له محمد علي باشا من فراسة انتظم مصانع

(١) سمه العلمي ... New Orleans ... ومقابلة ... Nouvelle Orleans ... مصر ... (٢) احد قصور ... في عهد محمد علي وحكمدار السودان مدة من الزمن

النسيج أعجبتهُ وتبته وأشار على الباشا بتعميم زراعته . وقد فطن محمد علي الى ما ينال مصر من الأرباح الوفيرة اذا أكثر من زراعته لأنهُ كان يفوق القطن القديم في طول تيلته ونعومته فاعتزم الباشا تعميمهُ وأنشأ السواقي اللازمة لري الأطيان التي تزرعهُ واشتراه بأثمان مرتفعة ليشجع الفلاحين على زرعهِ فلم تمض عدة سنوات حتى انتشر هذا النوع من القطن وصار يعرف باسم قطن محمد بك أو قطن جوميل ثم أدخل محمد علي نوعاً آخر وهو القطن البربادي أو قطن « سي ايلاند » الاميركي [1] ومن ثمَّ أخذ القطن المصري ينافس قطن البنغال وأميركا وأقبلت على طلبهِ مصانع النسيج في فرنسا وانكلترا وتقدمت زراعتهُ وأخذ محصوله يزداد سنة فسنة [2] . والقطن البربادي وطنهُ الأصلي جزائر الهند الغربية فقد نقل من جزائر بهاما الى الولايات المتحدة في أميركا سنة ١٧٨٥ وكان يزرع في الجزائر البحرية والمناطق الشاطئية لولايات جورجيا وسوث كارولينا وفلوريدا لنجاح زراعته فيها ولكن قد عدل عن ذلك حديثاً لفتك سوسة اللوز بهِ وأصبحت زراعته هناك محصورة الآن في الجزائر الجافة من الهند الغربية بعد أن أدخل اليها ثانية من الولايات المتحدة . وهو ينتج أنعم قطن وأليافه طويلة ناعمة حريرية يختلف طولها بين ٣/٨ و ١/٢ ٢ بوصة . ويعتبر القطن المصري ناشئاً عنهُ ولكن في اعتقاد ذات ان كثيراً من الاقطان المصرية هي مولّدات أو نغولة من القطن البيروي [3] والقطن المصري من حيث أليافه وسط بين القطن البربادي والقطن الهندي [4] وهو علاوة على زرعه في مصر فانهُ يزرع ايضاً في مناطق الري بالولايات المتحدة واريزونا وكليفورنيا حيث نتجت عنه مولدات جديدة وبالاخص قطن « بيما » و « يرما » كما انتشرت زراعته بالمناطق الحديثة الري في السودان

---

(١) اسمه التجاري Sea Island cotton وبالانكليزية Gossypium barbadense L. وبالفرنسية coton longue soie (٢) لحمت هذه النبذة بتصرف عن كتاب عمر محمد علي عند الرحمن الرافعي بك

(٣) اسمه التجاري Gossypium religiosum L. et Gossypium peruvianum Cavan وبالانكليزية Peruvian or Brazilian cotton

(٤) اسمه التجاري Upland or Short staple cotton وبالانكليزية Gossypium hirsutum L.

والقطن المصري صفات معينة ترغب فيه حتى في الولايات المتحدة نفسها فقد بلغ ما يصدر منه اليها في السنوات الاخيرة نحو ستين في المائة من جميع الاقطان الاجنبية. وهذه الصفات هي نعومته ومتانته ومرونته وعظم قابليته الطبيعية للفتل وهي في مجموعها تجعله ملائماً لعمل الجوارب والسراويل والسجوف وما شاكلها وللخلط بالحرير والصوف الى غير ذلك وتصلح فيه ايضاً عملية اكتساب لمعان الحرير

ولا يفوتني التنويه بأن حياة أصناف القطن التجارية المصرية لا تظل محتفظة بجودتها فالصنف المعروف بالسكلاريدس قد حلَّ الى حد كبير محل الميت عقيلي واليانوفتش اللذين كانا سابقاً أجود الاصناف المعروفة وأكثرها زراعة. كما ان السكلاريدس قد أخذ في الضعف الآن حاذياً حذوهما وظهرت أصناف جديدة

والعُطب أو فضالة القطن مادة ليفية بيضاء تغلف حبه أو بزره المسمى الجيسفوج. أما جوزته (لوزته) ويقال لها العفازة فقُلبية تشتمل على غريفات في كل منها سبع بزور الى تسع. وتكسو الغلاف الخارجي من البزرة ألياف اوشعرات انبوبية مفتولة ومنبسطة معاً كل منها خلية واحدة

ويفصل العطب عن البزور بالحلج وزن نحو ثلث المكمَّل (أي القطن ما دام في الحب). ثم يكبس هذا العطب بوساطة مكبس يحرك بالماء في بالات زنة الواحدة منها ٥٠٠ رطل انجليزي «باوند» في المتوسط. وبعدئذٍ تصدر البالات الى مصانع غزل القطن لتحويلها الى غزل. وتزن البزور ضعف العطب المغلف لها وهي تشتمل على زيت ثمين يعتصر منها ليقوم مقام زيت الزنزون. وقد تحول البزور بالطحن الى دقيق للتسمين غذاء للمواشي أو سماداً لاخصاب تربة الأرض. ويصنع ورق من الفضالة غير القابلة للغزل وهي خلَيْطوس[1] تقي.

هذا وقد كان غزل القطن ونسجه الصناعة الراسخة في لانكشير بانكلترا من زمن مديد وكثيراً ما أمدَّت العالم جميعه بكمية وافرة من المواد القطنية ولكن الآن تغيرت الحال واعترضت هذه الصناعة منافسة شديدة من الهند واليابان وبلدان اخرى في الشرق.

---

(١) صمغ أو خلية نباتية. وهي مادة تتركب من ثلاثة عناصر كيميائية هي الكربون والايدروجين والاكسجين. ونسبة العنصرين الاخيرين في هذه المادة كنسبتهما في جزيء من الماء.